

عندما يتصل بك مدير التحرير ليبلغك بمهمة صحافية يتبادر الى ذهنك نوعية هذه المهمة والدولة التي ستكون محطتك خلال هذه المهمة، وقد تبحث عن اي من الاعذار، الا ان المهمة الاولى لك من إدارة تحرير الجريدة لا تسمح لك بالتفكير وعليك القبول فوراً دون تردد مهما كانت. وفي التكليف الأول لي من «الأنباء» كانت المهمة تغطية توقيع اتفاقية السلام في دارفور، وكانت المحطة دولة قطر الشقيقة، وخلال هذه الرحلة تنقلت بين السياسة والثقافة، ورصدت بعض المواقف والمشاهدات التي لا يمكن المرور بها دون التأمل والبحث في ثقافات الشعوب، وبالذات تلك التي لم يسلط الاعلام الضوء عليها كثيراً، بسبب الاحداث التي تشهدها مناطقها ومنها دارفور المنهكة بسبب الحروب والصراع بين ابناء البلد الواحد، بعد ان كانت مصدراً لكسوة الكعبة. ومن خلال هذه الصفحة نستعرض بعضاً من تلك المشاهدات.

مناجاة: هادي العجمي - الدوحة

في الدوحة عناق الأصدقاء وفي دارفور فرحة الأبناء والأحفاد

السودانيون عن الكويت: «السواي ما حدات»



صورة المجاهد الشهيد
السلطان علي دينار

-رحمه الله-

منذ عام (١٨٩٦ - ١٩١٦ م وفاته)

السلطان علي دينار أحد سلاطين دارفور



من أزياء المرأة المقاتلة في دارفور

بيني وبينه الحديث - بعد ان عرفته بنفسه - عن الاتفاقية وبسؤاله عن أسباب تأخر الدخول الى القاعة وكان لي ما طلبت الا انه طلب عدم ذكر اسمه لأسباب فضل عدم الإفصاح عنها وكان له ما أراد وبعد هذه المعلومة التي أشبعت قليلاً من حاجتي كأي صحافي الى المعلومة أصبح من المقرر العودة الى مقر إقامتي بعد تأكدي من وصول المادة مكتملة الى مدير التحرير وفي مجال لأي نشاط آخر سوى الراحة بعد سفر وعمل لم يكن شاقاً وكانت التجربة فيها شيء من المتعة.

وفي صباح اليوم الثاني يوم الجمعة كان الاستعداد لصلاة الجمعة وكان الهدف الصلاة في مسجد الشيخ يوسف القرضاوي إلا أن هذا الهدف لم يتحقق بسبب عدم معرفة المسائق المخصص لمرافقتي (محمد اقبال) بالشيخ القرضاوي وعدم معرفتي بشوارع الدوحة، وكانت الصلاة في مسجد آخر والمفارقة ان المسؤول السوداني الذي تحدثت اليه في المساء كان علي يميني في الصف الأول من هذا المسجد عرفته بالتأكيد وقد يكون هو لم يعرفني، فكرت في الحديث معه مجدداً إلا أن الوقت والمكان لم يسمحا بذلك، والواجب العودة الى الفندق والاستعداد الى التوجه الى الشيراتون لحضور احتفال أبناء دارفور بتوقيع اتفاقية السلام والمعرض المقام بهذه المناسبة.

وفي المعرض المخصص للتراث في دارفور كانت لنا جولة وحديث مع المشاركين في المعرض وكانت البداية مع الفنانة التشكيلية سوزان خلف الله والتي شاركت بالعديد من لوحاتها وأعمالها الفنية وكان أبرز من أعمالها تصميمها لأطول ثوب سوداني في العالم بقياس 81م * 150م وقالت ان هدفها من هذا العمل لفت أنظار العالم الى عمل المرأة السودانية وبالذات المرأة في دارفور، مؤكدة ان المرأة كانت الأكثر معاناة خلال ما تعرضت له السودان من أحداث متمنية ان يدخل عملها موسوعة غينيس للأرقام القياسية وهو العمل الذي ستعمل عليه خلال الفترة القادمة.

السواي ما حدات

وفي جانب آخر كان الحديث مع أحد أبناء دارفور وهو سيف البزل محمد حول دارفور وتاريخها استعرض خلاله قادة وسلاطين هذا الإقليم، وكان أبرز السلطان علي دينار الذي قال انه كان يقوم بكسوة الكعبة كما قام بحفر آبار على المعروفة الآن في المملكة العربية السعودية كأحد المواقف.

وبعد سؤاله لي عن شخصيتي ومعرفته اني من الكويت استعرض دور الكويت في دعم السودان منذ زمن بعيد، وبعد مقاطعته مني بالقول نحن في الكويت لا نحب الحديث عما تقدمه بلادنا للأشقاء وهي سياسة لدى حكومتنا، حتى لا يفسر ذلك على انه منه. قاطعني بالقول لدينا مثل في دارفور ينطبق عليكم في الكويت ويقول هذا المثل «السواي ما حدات» وقاله صعب الفهم، وهنا عاد بنفسه ليوضح المثل وهو ما يعني «ان من يفعل لا يتحدث».

وبعد تجول بين أركان المعرض ولوحاته غادرت المكان لتنتهي المهمة الصحافية وتبتدئ الحركة بحرية تم خلالها التنقل بين الأسواق التجارية والإطلاع على النهضة العمرانية في الدوحة وبعد ذلك العودة الى مقر إقامتنا والاستعداد للسفر في اليوم التالي والعودة الى أرض الوطن يوم السبت الثالثة عصرًا.



«الطبق» السوداني ارتفع أكثر من مرة في إشارة الى الكرم

عرفنا مؤخرًا انهم ممثلي بعض الجمعيات والمنظمات السودانية والشخصيات التي تسعى الى السلام لترفع اصواتهم مرددين «سلام سلام دارفور سلام» في محاولة لانتهاء ثورة دارفور وتكبير الحكومة.

وبعد تأخر دام لأكثر من ساعتين دخل القادة الى القاعة وسط تصفيق الحضور وهو ما اعاد الثقة والإطمئنان الى المشاركين ليعود الهدوء والامل في السلام الى القاعة من جديد.

وان كانت مواجهة الشعارات قد انتهت بدخول الزعماء فان المواجهة اتخذت شكلاً آخر حيث كانت من خلال التصفيق الحار أثناء القاء الخطابات وكان كل طرف يحرص على التصفيق بصورة اكبر لممثلي في الاتفاق دون غيره فتارة يكون يميناً وتارة أخرى في اليسار والكال الامر الوحيد الذي يوحد تصفيق المشاركين هو الحديث عن الدور القطري في إنهاء الصراع وتوقيع الاتفاقية وهو الدور الذي يتفق عليه الجميع ويشيدون به وفي هذه اللحظات التفت الي احدهم ليقول «ان نتفق على شيء واحد افضل من الا نتفق على شيء».

وبانتهاه كلمات المشاركين انتقل ممثلو الاطراف والوسطاء الى طاولة تم اعدادها للتوقيع على الاتفاقية وسط هدوء غير طبيعي يلف القاعة، وما هي الا لحظات حتى وقف المشاركون في التوقيع ملوحين بالاتفاقية للحضور وهي اللحظة التي عادت فيها الضجة والصيحات والشعارات ليرد الجميع «سلام سلام دارفور سلام» وسط تأكيد من بعض الحضور بان الافراح لن تكون في الدوحة فقط وانما ستكون في دارفور من ابناهم واحفادهم.

الطبق السوداني

وبعد مصافحة اطراف التوقيع لبعضهم البعض اتجه كل طرف الى مؤيديه لتستمر الشعارات كما كانت في بداية الامر ويستمر تبادل التهاني بين كل طرف ومؤيديه وتعود الحركة من جديد الى المكان ولكن بهدوء ويعكس بداية الدخول قبل التوقيع على الاتفاقية. وكان من الملاحظ حرص الجانب الدارفوري أثناء شعاراته وصيحاته على رفع «الطبق» وهو غطاء للطعام النخيل ويرفع عن الطعام ويضرب به على الأرض عند قدوم الضيف في إشارة الى الترحيب وهي إحدى العادات التي تعبر دلالة على الكرم في إقليم دارفور.

وفور انتهاء التوقيع وخروج القادة والمشاركين في الطريق الى البوابة الخارجية للعودة الى مقر الإقامة كان أحد المسؤولين يجلس في إحدى زوايا الفندق في انتظار تحديد موعد له مع أحد الشخصيات، وبفضل الصحفي توجهت اليه ليدير

البشير وقادة عدد من الدول الأفريقية، في الدخول ادى الى بداية التذمر والملل من طول الانتظار بل تعدى الامر الى شكوك الحضور في مصير هذه الاتفاقية ليردد اكثر الموجودين بصورة متكررة «الله يستر الله يستر» في دلالة واضحة على قلقهم من تعثر الاتفاقية وضياح كل الجهود التي بذلت في هذا الاتجاه.

ومع مرور الوقت بدأت القاعة تأخذ شكلاً مختلفاً إذ زادت الحركة وارتفعت الاصوات من الاطراف المشاركة فيما بينها ودون سابق انذار قام أحد المشاركين من الجانب المخضرم لابناء دارفور ليصرخ بصوته عاليا مردداً «ثورة ثورة حتى خلفه، كما كانت كفيلاً باستفزاز الجانب الحكومي المقابل لهم بينما اتخذ الطرف الثالث موقف المتفرج.

سلام سلام

ومع تأخر القادة ازداد التوتر وتحديداً بعد قيام الطرف المؤيد للجانب الحكومي ليرد على شعارات ابناء دارفور بالتكبير «الله اكبر الله اكبر تكبير تكبير» وهنا يتدخل الطرف الثالث الذي

الاتفاقية وفي هذه القاعة كانت جميع أطراف السودانين تتحرك بصورة تجعلك تلتزم الصمت وتقاير بين الحضور الذين يختلفون في كل شيء بداية من الشكل ومروراً بالأزياء وانتهاء بالتوجهات والأفكار إلا أنهم يتشابهون جميعاً في طريقة السلام التي تكون من خلال وضع اليد على الكتف أو الصدر للشخص المقابل.

انقسام الحضور

وفي القاعة انقسم الحضور الى ثلاثة اقسام الاول على يمين منصة القادة وكان مخصصاً للجانب الحكومي والمؤيدين لها بينما جلس أبناء دارفور والمؤيدين لهم على يسار المنصة بقيادة التجاني السيسى الذي ضجت القاعة بالتصفيق والصيحات فور دخوله اليها وكان الجزء الثالث من المشاركين اتخذ مكاناً مقابلاً للقادة المشاركون الذين دخلوا الى القاعة في الرابعة عصراً وهو الوقت المخصص للتوقيع على اتفاقية السلام.

المشاركون انشغلوا بإعدادات الجانبية والتصوير من هواتفهم الشخصية الا ان تأخر القادة وهم: سمو امير دولة قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني والرئيس السوداني عمر

اختلفوا
في الشعارات
والأزياء وتشابهوا
في طريقة السلام

أطول ثوب سوداني
في العالم بهدف
لفت أنظار العالم
إلى عمل المرأة

شعاراتهم «ثورة
وتكبير وسلام»
وتصفيقهم للقادة
بتفاوت

المشاركين انشغلوا
بالإعدادات الجانبية والتصوير
من هواتفهم الشخصية الا ان
تأخر القادة وهم: سمو امير
دولة قطر الشيخ حمد بن خليفة
آل ثاني والرئيس السوداني عمر

في البداية وقبل السفر حاولت جمع المعلومات والقراءة عن السودان بشكل عام وعن قضية دارفور تحديداً لتكون هذه المعلومات سلاحاً لمواجهة أبناء الشعب السوداني خصوصاً ان هذا الشعب يمتلك ثقافة عالية مقارنة بالكثير من الدول العربية بسبب شغفهم القراءة، وكانت هذه المعلومات بالفعل وسيلة لفتح أبواب الحوار والحصول على المزيد من المعلومات حول ما حضر أبناء السودان من أجله الى الدوحة.

وبعد القراءة ومعرفة الجزء اليسير حول دارفور وبعد الاستعداد للسفر بجميع أسلحة الصحافي من مسجل وكاميرا وغيرها كان موعد السفر في العاشرة صباحاً من يوم الخميس، وما إن أقلعت الطائرة حتى وجدنا دارفور تستقبلنا في الصحف القطرية التي خصصت جزءاً كبيراً من صفحاتها لهذه الاتفاقية التاريخية وخلال مدة الطيران التي استمرت أكثر من ساعة كانت أحاديث الزملاء المشاركين في الرحلة تدور حول أهمية الحدث والطريقة المناسبة لتغطيته خصوصاً ان هذه هي المرة الأولى التي يكلف فيها كل منا بمهمة يكون أطرافها الأساسيون الأشقاء في السودان.

وبدأت الكثير من الأسئلة تطرح نفسها لتجد الإجابة أحياناً ولا تجدها في أغلب الأحيان، وهذا هو حال الصحافي إذ يعيش أغلب أوقاته في تساؤل مع كل إجابة تحصل عليها يشعر بنشوة النصر حتى وإن كانت هذه الإجابة لا تستحق الاحتفال، ودون سابق إندار كان الإعلان عن الاستعداد للهبوط على أرض مطار الدوحة كفيلاً بانتهاء الحديث وبدء العمل، ومع الخروج من باب الطائرة كانت الوجوه القطرية تستقبل بالترحيب بملاحقة قبل الكلمات، وبكل يسير وسهولة وتنظيم نصل الى البوابة الخارجية وهناك سيارات الوفود المشاركة التي تم تجهيزها لإيصالنا الى مقر إقامتنا، وهو ما حدث حيث وصلت الى الفندق المخصص للإعلاميين الساعة الثانية ظهراً وسط اهتمام قطري خيقل، ومع مرور الساعات والدقائق تتخذ الأمور شكلاً أكثر جدية.

السودان جاءت إلى الدوحة

وبطريقة مؤدية حافلة مستقبلياً لنا مفادها ان الوقت أصبح ضيقاً، وعلينا ان نكون في مقر توقيع الاتفاقية وهو فندق الشيراتون قبل الساعة الرابعة عصراً لأسباب أمنية وتنظيمية وان أي تهاون قد يحول دون حضورنا للاحتفال وهو ما تقبله الزملاء بكل رحابة صدر لننتقل الى مقر التوقيع وإقامة الوفود المشاركة.

وكان التساؤل الأول الذي راودني منذ لحظة دخولي بوابة الشيراتون، هل أتيت الى السودان بالخطأ أم ان السودان هي التي جاءت الى الدوحة؟ فقد كانت قاعات الفندق ومرمته تزدهم بالأشقاء السودانيين من مختلف التوجهات السياسية والشعبية، ومن مختلف مناطق السودان وإن كانت الأغلبية للمقيمين من دارفور والخرطوم على حد تعبير الاحداث.

ومنذ اللحظات الأولى كانت الأحاديث حول الاتفاقية وحضورهم الى الدوحة ليكشفوا ان عدداً من المشاركين جاءوا من خارج السودان إما لوجودهم خارج السودان كعمارة، وإما لوجودهم ضمن أهاليهم الناظرين في جارتهم تشاد التي يشيدون بموقفها في استقبالهم وراعاتهم منذ بداية الأزمة وحتى النهاية.

ومن المرات والقاعات الجانبية الى القاعة الرئيسية التي خصصت لجلوس القادة والمشاركين للتوقيع على



أحدى لوحات المعرض في فندق الشيراتون



زغاريد وصيحات نساء دارفور بعد توقيع الاتفاقية